الافتتاحيّة

يحار الكثيرون في تعريف مَنْ هو المسيحي الأرثوذكسي وسط جلبة الأصوات التي تدعو إلى إذابة الثوابت الإيمانيّة في طريق غير واضح المعالم قائم على التلاقي تعبُّديًّا من أجل المحبّة، دون النظر إلى خطر هذا الأمر على المدى البعيد، وكأنّ الحبّ قاصرٌ على المتلاقين في الإيمان! فبدون ثوابت إيمانيّة ينطلق منها الإنسان يصبح ريشة في مهب الريح لا يجد غضاغة في ترك الإيمان إجمالاً بدعوى الوحدة الإنسانيّة فيما بعد!!

فالتلاقي تعبُّديًّا هو شيء حسن وهام للغاية ويعبّر عن مخاض وأنين اشتياق إلى الوحدة، ولكن لا يجب أن يكون نقطة انطلاق وختام وبينهما حالة ضبابيّة من التساؤل: وماذا بعد؟؟ دون جواب واضح ..

وفي هذا يجب على الكنيسة أن تعيد قراءة ذاتها؛ ثوابتها ومتغيراتها، حتى لا تتحجّر في متغيِّرات فتضيع فرصة إعلان الإنجيل في لسان وثقافة القرن الحادي والعشرين، ولا تتنازل على الثوابت نتيجة عدم الوعي الكافي بماهيتها الحقيقيّة كما تسلمّتها من المسيح.

ومن منطلق فهم الكنيسة للتسليم الرسولي، يمكن أنّ نُعرِّف "المسيحي الأرثوذكسي" أنّه هو مَنْ يُحقّق التوازن بين وعيه الإيماني لما تحقّق في الماضي في حياة الكنيسة والذي دوَّنته في نصوص وصلوات ومذكّرات وعقائد ورسائل وأطروحات لاهوتيّة، وبين وعيه المعاصر كمسيحي، وهو ما يصبُّ في قالبه المجتمعي كدفقاتٍ من النور، بلُغةٍ معاصرة مُتجدِّدة فاعلة إنسانيَّة قريبة من الواقع متلامسة مع الاحتياج الإنساني.

هو مَنْ آل على نفسه خوض المغامرة لإعلان مجد الخلاص في الزمان الحاضر، مُنطلقًا من نسيج إشكاليات مجتمعه، والروح يكون كنزه الذي يُجدِّد له وفيه وبه منطوقات جديدة لحقائق الإيمان حتى تتلقّفها الآذان المُعاصرة

ويعاينوا فيها النور والحقّ والتحرُّر الأبدي.

هو مَنْ لم يغفل الإنجيل لصالح العقائد، فالدوجما عنده مُنطلقه من حياة الكلمة، لذا فهو لا يتجاوز بساطة الوصيّة ليكرز بجدليّات اللاّهوت، فهو يدري أنّ لكلِّ مقامٍ مقال، وأنّ الإنسان مدعو لقبول الحقّ حسب وعائِه الإنساني والثقافي، فلا يُثقِّل على عوام المؤمنين بأطروحات اللاّهوت، ولا يتباسط مع المثقّفين بتسطيح حقائق اللاّهوت. ويبقى "الحقّ" كما كتب القديس إيريناؤس "غير مُعقَّد" (ἀσχημάτιστος) *unsophisticated*

هو مَنْ يؤمن بشخصانيّة الإيمان لا بحرفيّته؛ فالمسيحيّة لم تأت بمُنزلات إلهيّة (فالنصّ في المسيحيّة نتاج وحي لا تنزيل)، بل بخلاصٍ في شخص المسيح، لذا كلّ إنسان له مكان في هذا الخلاص حتى مَنْ لا يقرأ ولا يكتب ولا يعي دقائق اللاّهوت، فقط قبوله العيش بمقتضَى الإنجيل، مستندًا على إيمان بألوهة المسيح وفدائه وقيامته، من بعد معموديّته، كافٍ للولوج إلى عمق التربة الإيمانيّة للإثمار والفيض.

هو مَنْ يُحبّ وينفتح على الآخر دون أن يقف الخلاف معه كحائط صدٍّ يمنعه من التلاقي معه مهما كانت عداوته؛ فسرّ الأغابي الباذل يُجدِّد فيه الحبّ لكلّ البشريّة دونما تصنيف للبشر، فالوعي الخلاصي إن لم يثمر حبًّا بمقدار الصليب في قلب المسيحي، يبقَى وعيًا نظريًّا لا يُحقِّق فعله وغايته في تجديد الحياة لإعدادها للاتحاد بالله أبديًّا.